٣٥بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوْحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (الكَهْف: ١١٠).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوْعًا (قَالَ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيْهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ .(١)

وَعَنْ أَبِي سَعِيْدٍ مَرْفُوْعًا (أَلاَ أُخْبِرُكُمْ مَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيْحِ الدَّجَّالِ؟) قَالُوا: بَلَى. قَالَ: (الشِّرْكُ الخَفِيُّ؛ يَقُوْمُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهَ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ). رَوَاهُ أَحْمَدُ. (٢)

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ الكَهْفِ.

الثَّانِيَةُ: الأَمْرُ العَظِيْمُ فِي رَدِّ العَمَلِ الصَّالِحِ إِذَا دَخَلَهُ شَيْءٌ لِغَيْرِ اللهِ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ السَّبَبِ المُوجِبِ لِذَلِكَ - وَهُوَ كَمَالُ الغِنَى -.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ مِنَ الأَسْبَابِ؛ أَنَّهُ تَعَالَى خَيْرُ الشُّرَكَاءِ.

الخَامِسَةُ: خَوْفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الرِّيَاءِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ فَسَّرَ ذَلِكَ بِأَنَّ المَرْءَ يُصَلِّي للهِ؛ لَكِنْ يُزَيِّنُهَا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ.

---

١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٨٥) .

٢) رواه أحمد في المسند (١٧/ ٣٥٥) برقم (١١٢٥٢) ، وابن ماجه في سننه برقم (٤٢٠٤) .

الشرح :

تكلم المؤلف رحمه الله تعالى فيما مضى على عدد من العبادات القلبية، ومر بنا الكلام على المحبة ومر بنا الكلام على الخوف ومر بنا الكلام على الرجاء والتوكل والرغبة والصبر .

المؤلف رحمه الله تعالى يذكر في هذا الباب عبادة قلبية هي أصل أعمال القلوب، يعني أن كل عمل من أعمال القلب يحتاج ويفتقر إلى هذه العبادة التي سنتكلم عليها إن شاء الله تعالى في هذه الليلة، وهذه العبادة هي النية الخالصة .. وهذه العبادة هي أصل أعمال القلوب ، وبيان ذلك أن كل عمل من أعمال القلوب أو الجوارح التي فيها ثواب أو عقاب لا بد له من نية ، فالصلاة لا بد فيها من نية ، أن تكون لله ، والذكر لا بد له من نية أن يكون الذكر لله ، والصدقة لا بد فيها من نية أن تكون لله ، والحج والعمرة والجهاد ، هذا بالنسبة لأعمال الجوارح ، كذلك أعمال القلوب ، فلا بد أن تكون المحبة لله ، والخوف من الله ؛ والرغبة والرهبة إليه سبحانه وتعالى ؛ والتوكل عليه، وضد هذه كلها الخوف الشركي ؛ والتوكل الشركي المحبة الشركية التي سبق الكلام عليها .

فهذا الموضوع من الأهمية بمكان لأن عمل الإنسان كله يتوقف ما يحصله منه من الثواب أو من الحسنات على النية التي يستحضرها الشخص في هذا العمل، فإذا لم يوفق للنية الخالصة لله فإن عمله يضيع عليه سدى، يتعب فيه في الدنيا، فيتعب جسده، وينفق ماله ووقته وجهده ؛ ولا يكون له فيه نصيب كما قال تعالى : (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) **أي عمل لغير الله جل وعلا يجعله هباء منثورا ، كائنا ما كان من أي شخص كان طالما هذا العمل لغير الله سبحانه وتعالى .**

ولخطورة هذا الأمر ولأهميته فقد كان السلف الصالح كانوا على وجل منه، وليس فقط على وجل وإنما كانوا في مجاهدة مستمرة لأنفسهم على نياتهم ، كما قال الإمام الكبير إمام السنة والحديث سفيان بن سعيد الثوري : «مَا عَالَجْتُ شَيْئًا قطُّ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نيتي»(١) ؛ لأنها تتقلب علي ؛ لأن النية

---

١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٧ ، ٦٢) وفيه كلمة (نفسي) بدلا من (نيتي) .

تتقلب ، كيف تتقلب النية ؟ قد تهرب من مظهر من مظاهر الشرك أو الرياء أو السمعة فيأتيك الشيطان بشرك في ثوب آخر .

وقال يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى : تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد (١) ، أشد عليه من أن يقيم الليل عشر ساعات أو ثماني ساعات أو يصوم يوما ويفطر يوما أو يقاتل في سبيل الله أو يتصدق ؛ فمجاهدة النفس على النية الصالحة الصادقة أشد على العاملين المخلصين الصادقين من طول الاجتهاد ، لماذا؟

لأن النية تتقلب والشيطان يأتي العبد في صور مختلفة متعددة ؛ فيوسوس له ؛ في صور الشرك والرياء والسمعة وإرادة الدنيا .

والإمام المشهور فضيل بن عياض يقول :إنما يريد الله منك نيتك وإرادتك (٢). يعني مهما عملت من الأعمال الكثيرة فإن المدار يدور على النية.. ماذا في قصدك ونيتك؟ مع كل هذه الأعمال والأقوال والاعتقادات .

لذلك كان حرص السلف رضي الله عنهم على تصحيح وإصلاح النية أعظم من حرصهم على الإتيان بالأعمال لخطورة هذا الأمر.

ثوب الرياء يشف عما تحته فإذا التحفت به فإنك عار

فمن هنا كانت أهمية هذا البحث وهذا الموضوع الخطير، ومن هنا لا بد لكل شخص أن يقف دائما مع عمله لا أقول مع أعماله بالجمع، لا، مع كل عمل يحضر له نية، فإن جلس في مجلس علم يحضر له نية الاستفادة والإفادة ؛ ونية رفع الجهل عن نفسه ، ونية تصحيح العمل والاعتقاد ، وقس على ذلك كل عمل من الأعمال .

قيل لنافع بن جبير : ألا تَشْهَدُ الْجِنَازَةَ ؟ قالَ : كَمَا أَنْتَ حَتَّى أَنْوِيَ ، فَفَكَّرَ هُنَيْهَةً ، ثُمَّ قالَ : امْضِ " (٣).

فهناك من يذهب للجنازة ويقول أقضي الواجب ، وفلان يذهب كما يذهب الناس ولا يستحضر النية في اتباع الجنازة ، وأن يؤدي حق أخيه المسلم في اتباع الجنازة وتشييعها والصلاة عليها ؛ واتباع الميت حتى يدفن ؛ وعن

---

١) أخرجه الدينوري في المجالسة برقم (١٩٤٦ ، ٣٤٢٤)

٢) انظر جامع العلوم والحكم (١/ ٧٠) ط ماهر الفحل .

٣) أخرجه الدينوري في المجالسة برقم (٣٥٣٢) .

أبي هرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ، فَلَهُ قِيرَاطٌ ، وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ » ، قِيلَ: وَمَا القِيرَاطَانِ؟ قالَ: «مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظِيمَيْنِ» (١)

إذا هذه المسألة تحتاج إلى فقه وتأمل ؛ والذي يحثك على هذا أن تعلم أن أي عمل يفوتك فيه النية فقد ضاع منك ؛ وأنت لا تحب هذا ، لا تحب أن تضيع جهودك وأعمالك وأعمارك وأموالك هباء منثورا .

ومن المراجع التي تكلمت في هذا بإسهاب : جامع العلوم والحكم لابن رجب عند شرحه للحديث الأول وهو حديث الأعمال بالنيات ؛ فعندنا حديثان فيهما ميزان للأعمال الظاهرة والباطنة ؛ الحديث الأول : حديث الأعمال بالنيات ، وهو ميزان الأعمال الباطنة ؛ وحديث «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» فهو ميزان الأعمال الظاهرة ، أي عمل يعمله الإنسان ليس موافقا للسنة فهو رد يعني مردود.، وميزان للأعمال الباطنة وهو حديث «إنما الأعمال بالنيات»

وهناك كتب ألفت في الإخلاص فممن كتب من المتقدمين الإمام ابن أبي الدنيا ؛ فله كتاب الإخلاص ، وابن رجب له كتاب معنى لا إله إلا الله وتحقيق كلمة الإخلاص ، وكتاب ابن رجب عمدة في هذا وجمع الكثير، وذكر أشياء مهمة جدا يحتاج إليها طالب العلم ، ولأجل خطورة هذه المسألة ؛ عقد المؤلف هذا الباب ـ باب ما جاء في الرياء ـ والرياء لغة مأخوذ من رائى يرائي مرائاة ورياء ، أي قصد بعمله رؤية الناس ، وهذا الرياء ينقسم إلى قسمين : رياء أكبر ورياء أصغر يسير.

النوع الأول : رياء أكبر وهو رياء المنافقين؛ الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام رياء؛ كما قال تعالى : (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) هذا رياء المنافقين وهو رياء النفاق الأكبر، وهذا كفر أكبر مخرج من الملة ، وعمل صاحبه كله حابط ، هذا النوع الأول، رياء النفاق، نسأل الله السلامة والعافية .

النوع الثاني: يسير الرياء أو الرياء الأصغر أو ما يعرف بالشرك الأصغر أو كما جاء في بعض الروايات الشرك الخفي أو شرك السرائر، هذه كلها

---

١) رواه البخاري في صحيحه برقم (١٣٢٥) ؛ ومسلم في صحيحه برقم (٩٤٥) .

تسمية للرياء الذي هو من الشرك الأصغر، وهذا يكون من المسلم ، وهذا النوع الثاني : الرياء الذي هو شرك أصغر ؛ وقد جاء في الأحاديث أنه شرك خفي وأن هذا الشرك أخفى من دبيب النمل كما رواه الإمام أحمد في مسنده (١)، إذا هو خفي وكونه خفيا يدل على خطورته، وأيضا جاء في الأحاديث كما سيأتي تسميته بشرك السرائر، كما قال تعالى (يوم تبلى السرائر) لأنه يكون في باطن الإنسان، في سره في داخله ؛ لا يطلع عليه الآخرون.. إنما هو شيء خفي، لذلك كان هذا خطيرا جدا لخفائه ، وسيأتي في الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم خاف منه على أمته أعظم من خوفه من المسيح الدجال(٢) ، فالمسيح الدجال له علامات ذكرها لنا النبي صلى الله عليه وسلم قد نعرفه بها ، أما هذا الذي في داخل القلوب في النيات ـ في القصد ـ فقد يخفى على الكثير غالبا.

بعض أهل العلم يعبرون عن هذا النوع من الشرك بيسير الرياء، وهذا حكمه شرك أصغر، أما الرياء الكبير فبعض أهل العلم يقول كثير الرياء شرك أكبر، وكأن ابن القيم يميل لهذا حيث يقول في تعبيره يسير الرياء يعني الرياء اليسير القليل ، أما إذا زاد الرياء في عمل الإنسان وكثر في عمله وصار يراعي الناس في عباداته بكثرة فهذا في قول لبعض أهل العلم أنه يلحقه بالشرك الأكبر، وبعض أهل العلم لا يرى التفرقة بين اليسير والكثير من الرياء ، لكنه في كل حال من الأحوال خطر عظيم جدا لأنه داخل في قوله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ويُحبط العمل الذي يدخله ، فيضيع على الإنسان أعمال كثيرة جدا.

والنوع الأول وهو نفاق الرياء لا يتصور أن يصدر من مسلم ؛ وهو أن يأتي بالعبادات المفروضة لغير الله ، كأن يأتي بالصلاة ابتداء للناس أو يزكي ابتداء للناس أو يحج حج الفريضة ابتداء للناس ، لكن إذا أتى بالصلاة ونوى أن يصلي لله ، سمع الأذان وجاء يصلي لله واستجاب لأمر الله فدخل في الصلاة فرأى من ينظر إليه ، أو كان مثلا يقرأ القرآن فرأى من يثني عليه وينظر إليه وهو يقرأ القرآن ، أو وهو يطوف بالكعبة فرأى من يجلس

---

١) رواه أحمد في المسند (٣٢/ ٣٨٣) برقم (١٩٦٠٦)

٢) رواه ابن ماجه في سننه برقم (٤٢٠٤).

في الصفوف ويثني عليه ويتكلم عليه ، فهذا العمل أصله لله ؛ فإن أتاه هذا الطارئ وهذا الخاطر فتذكر أن هذا وسوسة من الشيطان لإفساد العمل وأن هذه مراءاة فاستعاذ بالله فدفعه فلا إشكال في ذلك ولا يضره ، لكن إذا استرسل مع الرياء وزاد في عمله من أجل رؤية الناس ، في صلاته ؛ في ذكره ؛ في قراءته للقرآن ؛ في صدقته ؛ في طوافه ؛ في أي عبادة من العبادات ، فبعض أهل العلم يفصل كشيخنا ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ يقول : إن كانت هذه العبادة مربوطة ببعضها متصلة ببعضها يبنى آخرها على أولها، يعني آخرها متعلق بأولها فدخل عليها الرياء ؛ بطلت العبادة بأكملها ، كصلاة ركعتين مثلا ، فإذا صلى الركعة الأولى لله والثانية رائى فيها دخلها الرياء بطلت العبادة ، ويقول: وإذا كانت العبادة آخرها ليس مبنيا على أولها بطل الجزء الذي دخله الرياء دون الجزء الآخر، ويمثل له بالصدقة كمن تصدق بعشرة دراهم ؛ فتصدق بخمسة مخلصا لله ثم لما جاء يتصدق بالخمسة الأخرى دخله الرياء ؛ ووجد الناس تقول فلان هذا جواد منفق فدخله الرياء وأعجب بعمله وقد يزيد فيها وقد لا يزيد بل يفعلها من أجل المدح، فيقول الشيخ بأنه تبطل الخمسة الأخرى ويبطل أجرها وتبقى الخمسة الأولى صحيحة.

وابن رجب رحمه الله تعالى لما ذكر هذه المسألة قال فيها خلاف.

والإمام أحمد رجح عدم البطلان يعني رجح عدم بطلان العبادة بأكملها قال : يبطل فقط العمل الذي دخله الرياء كائنا ما كان بدون تفصيل .

فالإمام أحمد يرجح أن العبادة التي دخلها الرياء في أثنائها لا تبطل ولكن يبطل القدر الذي دخل فيه الرياء .

وهذا خلاصة ما ذكره ابن رجب رحمه الله في جامع العلوم والحكم .

والشرك ينقسم إلى شرك أكبر وشرك أصغر ؛ وهذا باعتبار ما يحبط الأعمال وما لا يحبط الأعمال وما يخلد به الإنسان في النار وما لا يخلد به ؛ وينقسم كذلك إلى شرك في الأقوال وشرك في النيات وشرك في الأعمال .

شرك في الأقوال كالحلف بغير الله والذي يقول مالي إلا الله وأنت ، وتوكلت على الله وعليك ، وما شاء الله وشئت ، ولولا الله وفلان ؛ هذه كلها شرك في الأقوال وهي من الشرك الأصغر إلا إذا قصد الشخص شيئا آخر فيلحقها بالأكبر على تفصيل سيأتي إن شاء الله في أبواب قادمة .

وشرك في النيات **ومنه الرياء .ولهذا أتى المؤلف رحمه الله بهذا الباب في كتاب التوحيد وكذلك إرادة الإنسان بعمله الدنيا ، وسيأتي الكلام عليه في الباب القادم .**

وقد يعبر عنه بشرك النية والقصد والإرادة ، وكثير من أهل العلم يجعلون النية والإرادة شيئا واحدا ، لذلك يقولون شرك النية والإرادة والقصد ؛ وبعض أهل العلم يفرق يقول : هناك فرق بين الإرادة والنية، الإرادة أعم من النية فالنية تتعلق بفعلك أنت ؛ والإرادة تتعلق بفعلك وفعل غيرك ، فقد تقول : أريد من فلان أن يأتيني بالكتاب الفلاني أو يعطيني الدراهم الفلانية ؛ أريد أن أتصدق أو أعتمر أو أن أقرأ القرآن أو أريد من فلان أن يقرأ القرآن ، فتقول أريد من فلان، ولا تقول أنوي من فلان أن يعطيني الكتاب الفلاني ، لكن تقول أنوي أن أصلي أو أنوي أن أتصدق ، أو أنوي أن أذكر الله أو أنوي أن أحج ، فالإرادة تتعلق بفعل الآخرين ، أما النية فهي تتعلق بفعلك أنت.

فكثير من أهل العلم على كل حال لا يفرقون بينهما، فيقولون شرك النية والإرادة والقصد، شرك النية يعني شركا في النيات والإرادة والقصد، وبعضهم قد يقول شرك النية وهي الإرادة والقصد لأنهم في اللغة يقولون النية هي القصد إلى الشيء، وعلى كل حال هذا طرف من المبحث وإلا فبحثنا فيه شرك النية وما يطرأ عليها من الرياء أو إذا أراد الإنسان بقصده الدنيا أو بعمله الدنيا كما سيأتينا في الباب القادم..

لذلك المؤلف رحمه الله تعالى قال : باب ما جاء في الرياء

الشيخ السعدي رحمه الله تعالى له تعليق جيد يقول فيه :

{اعلم أن الإخلاص لله أساس الدين وروح التوحيد والعبادة ، وهو أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله ، وثوابه وفضله ، فيقوم بأصول الإيمان الستة وشرائع الإسلام الخمس ، وحقائق الإيمان التي هي الاحسان ، وبحقوق الله وحقوق عباده ، مكملا لها ، قاصدا بها وجه الله والدار الآخرة ، لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا رياسة ولا دنيا ، وبذلك يتم إيمانه وتوحيده}.

فيقوم بأعمال الإسلام وأعمال الإيمان مكمَّلة يقصد بها وجه الله والدار الآخرة ، لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ، ولا رياسة ولا دنيا ؛ فهذه أربع كلمات تقال بمنتهى السهولة ؛ لكن تحقيقها أصعب ما يكون في حياة الإنسان

، ويحتاج إلى مجاهدة النفس لكي يعمل العمل لا يريد به رياء ولا سمعة ، وهناك فرق بين الرياء والسمعة سبق ذكره وهو : أن الرياء أن يعمل الإنسان من أجل أن يراه الناس ، والسمعة أن يعمل العمل من أجل أن يسمع به الناس أو يسمّع بعمله الناس ؛ أو بحديثه أو بكلامه عن نفسه، فهذا محذوران : الرياء والتسميع ، وقد جاء فيهما حديث في صحيح البخاري «من رائى رائى الله به ومن سمع سمع الله به» **يعني فضحه ، وفي رواية** «من يرائي يرائي الله به ومن يسمع يسمع الله به»(١) **يعني يفضحه على رؤوس الناس في الدنيا أو في الدنيا والآخرة .**

ثم قال : {ومن أعظم ما ينافي هذا} **يعني من أعظم ما ينافي الإخلاص** {مراءاة الناس والعمل لأجل مدحهم} **إذا هو يرائي من أجل أن يمدحه الآخرون ، انظر إلى صلاة فلان ؛ قراءة فلان ؛ صدقة فلان ؛ حج فلان ؛ عمرة فلان ؛ جهاد فلان، المدح، ما أجوده ؛ ما أكرمه ؛ ما أعلمه ؛ ما أقرأه ؛ ما أحسنه قارئا ؛ ما أحسنه كذا ، فأول أسباب الرياء أن يستجلب مدح الآخرين .** ثانيا :{وتعظيمهم} **فتكون له مكانة عند الناس ويعظمونه فيعمل العمل من أجل أن يستجلب تعظيم الناس له.** ثالثا: {أو العمل لأجل الدنيا} **يعمل رياء وسمعة من أجل الناس ، فهذه الثلاثة ذكرها الشيخ في مجمل كلامه وهي أسباب الرياء والتسميع :**

١-استجلاب مدح الناس.

٢- استجلاب تعظيمهم .

٣- من أجل الحصول على حطام الدنيا الفاني ؛ هذه من أسباب الرياء .

ثم قال: { والرياء آفة عظيمة يحتاج إلى علاج شديد } **إذا الرياء يحتاج إلى علاج شديد ، فهو أخطر من السرطان الذي يصاب به الإنسان ؛ لأنه قد يموت الإنسان بالسرطان وهو من المؤمنين المخلصين الصادقين ، ويكون مرضه كفارة ورفعة في درجاته ، لكن إذا مات على الشرك والعياذ بالله قليله أو كثيره كبيره أو صغيره فهذا هو الخسران المبين .**

---

١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٤٩٩) ، ومسلم (٢٩٨٦) .

{وتمرين النفس على الإخلاص} **أي يتمرن على العبادة ويجاهد نفسه على ألا ينظر إلى رؤية الخلق، وأن ينسى الخلق وأن يتذكر عظمة الخالق سبحانه وتعالى كما سنذكر بعد قليل في علاج الرياء .**

{ ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والأغراض الضارة } **يعني عندما يأتي له خاطر الرياء يدفعه بسرعة، يقول لنفسه اتق الله ، أنت أمام ملك الملوك سبحانه وتعالى، رب العالمين، كيف تلاحظين الخلق وأنت أمام ملك الملوك الذي له الخلق والأمر، يدافع نفسه ويجاهد نفسه، ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء ، الأغراض جمع غرض كأن يكون غرضه دنيا أو مال أو منصب أو رياسة أو زوجة أو غير ذلك، إذا يجاهد النفس بالخواطر التي تأتيه أو يجاهدها على الأغراض الفاسدة التي توسوس له نفسه بها..**

{والاستعانة بالله على دفعها ؛ لعل الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده}**الاستعانة بالله على دفع هذه الأمراض وهذه الخواطر وهذه الأغراض الدنيوية،الاستعانة بالله ، وهذا هو من أعظم أسباب علاج الرياء، فهذه هي أسباب الرياء .**

وسائل علاج الرياء :

أولها: **معرفة عظمة الرب جل وعلا وعظمة من يتعبد أو يصرف له العبادة ، وأنه له جل وعلا الخلق والملك وأنه يجب أن يفرد بالربوبية والألوهية والعبادة كما يفرد سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وأفعاله ، إذا أول شيء أن يعلم عظمة الله الذي يرائي أمامه ، يرائي الآخرين أمامه..**

ثانيا: **يعلم عاقبة هذا الرياء، وأن عاقبته وخيمة وأنه سيجعل كل عمل يعمله يضيع سدى، هباء منثورا ، فيخسر في الدنيا ويخسر في الآخرة، يخسر المال والوقت والجهد والتعب والكد..**

ثالثا: **يعرف أن عاقبة المرائي الفضيحة ، كما قال في الحديث** «من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به» **(١).**

رابعا : **الاستعانة بالله جل وعلا على التخلص منه ، بالإكثار من دعاء ربه جل وعلا أن يخلصه من الشرك قليله وكثيره وأن يخلصه من الرياء**

---

١) سبق تخريجه .

والسمعة وأن يجعل عمله دائما لوجهه ، يلهج لسانه بهذا دائما في سجوده وفي أوقات وأماكن الإجابة .

خامسا: **كتمان الأعمال الصالحة التي ليست بفرائض ولم يأت الشرع بإظهارها كالنوافل المطلقة والسنن الرواتب إلا إذا كان في فعلها أمام الناس مصلحة ، كأن يكون إنسان من أهل العلم يقتدى به فيكون في فعلها أمام الآخرين مصلحة** (إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) **فالصدقة أحيانا يكون إعلانها أحسن من إخفائها وقد يكون إخفاؤها أحسن من إظهارها ، بحسب المصلحة ، يعني لو قلنا مثلا والله هناك حالة تحتاج إلى علاج أو مساعدة ونريد منكم أن تساعدوا هذا الشخص فقام أحد الجالسين وقال أنا أبدأ ووضع مثلا خمسة أو عشرة دراهم قل أو كثر ؛ فنشط الآخرون وبدأ كل واحد يرى ما معه ويتصدق به ، فهذا فيه إظهار الصدقة أفضل ، وقد يكون الإخفاء أولى وأفضل بحسبه ، فإذا كان إعطاءك الصدقة للمسكين لن يترتب على رؤية الناس له شيء ، كأن يكون واحد في بيته فالأولى الذهاب إليه والتصدق عليه سرا ؛ إلا إذا كان الإنسان من أهل العلم أو ممن ينظر إليه فيعمل بالعمل الصالح ليتعلم منه الآخرون أو لينشط به الآخرون.. هذه من أسباب علاج الرياء .**

وقد دلنا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم على سبب آخر عندما دل الصحابة وحذرهم من الشرك الخفي وأنه أخفى من دبيب النمل ؛ فقالوا : كيف نتقيه ؟ فقال لهم «قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه» (١) **فعلى الإنسان أن يحفظ هذا الدعاء ويلهج به لسانه بصفة دائمة.**

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الجواب الكافي **في خطورة الشرك في النيات: {فذلك البحر الذي لا ساحل له ؛ وقل من ينجو منه ، والإخلاص أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته.. الأفعال مثل الصلاة و قراءة القرآن .**

والأقوال كالذكر والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

١) رواه أحمد في المسند برقم (١٩٦٢٢) .

{وإرادته ونيته}وسبق بيان أن النية تدخل في كل عمل من الأعمال ، فكل عمل يفتقر إلى نية ، كل عمل من أعمال القلوب أو أعمال الجوارح لا بد له من نية، فإذا كانت النية لله كان هذا العمل صالحا وإذا كانت النية لغيره كان عمله حابطا مشركا بهذا العمل والعياذ بالله..

قوله: باب ما جاء في الرياء. **يعني ما جاء في الرياء من التحذير منه ، وبيان حكمه وأنه شرك على التفصيل المذكور.**

قال الحافظ ابن حجر: الرياء إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدونه عليها .

الدليل الأول :

وقول الله جل وعلا: (قل إنما أنا بشر مثلكم) **يعني قل لهم يا محمد - صلى الله عليه وسلم - إنما.. هذا حصر.. أنا بشر مثلكم.. لماذا قال مثلكم؟ تحقيق للبشرية، يعني لست بملك ولست بإله كما يزعم الآن بعض الغلاة في التصوف والحلول وغير ذلك، يرفعونه إلى مرتبة الربوبية، قال:** (قل إنما أنا بشر مثلكم) **إذا كلمة مثلكم الفائدة منها تحقيق البشرية** (يوحى إلي) **ماذا يوحى إليه؟** (أنما) **هذا الحصر الثاني ؛ إذا الحصر الأول الذي مر بنا حصر حال الرسول في البشرية عليه الصلاة والسلام.. الحصر الثاني الآن حصر الوحي في التوحيد.. يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد.. إذا هذا هو الذي يوحى إليه صلى الله عليه وسلم .**

فإذا كان يوحى إليه أنما إلهنا إله واحد فلا بد أن يفرد هذا الإله الواحد الأحد الحق بالعبادة يفرد وحده ، كما أنه إله واحد وكما أنه رب واحد فلا بد أن يفرد وحده بالعبادة.

ثم قال: (فمن كان يرجو) **يعني يأمل ويطمع في لقاء ربه** (يرجو لقاء ربه) **واستدل أهل السنة بهذه الآية بكلمة** (لقاء) **على إثبات رؤية الله جل وعلا للمؤمنين** (يرجو لقاء ربه) **واللقاء هنا لأهل الإيمان ؛ لقاء فيه تكريم لهم ولقاء فيه إنعام عليه ولقاء يحظون فيه بالرؤية والمعاينة.**

(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا) **{فليعمل} : هذا أمر ؛ {عملا}: هذا نكرة ، أي عمل** (صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) **كلمة {أحدا} نكرة في سياق النهي أو النفي تفيد العموم ؛ إذا ما الفرق بين النكرة الأولى والثانية ؛ {فليعمل عملا صالحا}؛ إذا لا يجوز له أن يشرك في أي**

عمل ولو كان صغيرا ؛ النهي الثاني لا يجوز له أن يشرك أي مخلوق في عمل ولو كان ملكا من الملائكة أو نبيا من الأنبياء؛ إذا النكرة الأولى في منع الشرك في العمل وإن كان قليلا وكائنا ما كان نوعه، والنكرة الثانية : منع الشرك بأي مخلوق كان، لا الملائكة ولا الأنبياء لا غيرهم.

قوله تعالى (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) **ذكر هنا لفظ الرب ليبين علة النهي عن الشرك ، لماذا نهي العبد عن الشرك قليله وكثيره؟ الجواب: لأنه إذا أقر بأن الرب جل وعلا هو المتوحد سبحانه وتعالى بالربوبية وبالخلق وبالرَّزق وبالملك والتدبير، إذا أقر العبد بأن الرب جل وعلا هو الذي خلق ورزق وأعطى وهدى وأمد فإنه ينبغي أن يفرد هذا الرب بالعبادة وحده ، كما أنه هو الذي خلق سبحانه وتعالى وحده فينبغي أن يفرد وحده بالعبادة والتأله .**

قوله : (فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) **هذان شرطا قبول العمل، الشرط الأول لقبول العمل : الإخلاص .**

الشرط الثاني: الموافقة للسنة ، العمل الصالح لا يكون صالحا إلا إذا كان خالصا موافقا للسنة، وقال الفضيل بن عياض عندما سئل عن قوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) **فسرها بقوله : أصوبه وأخلصه ، يعني عندما سئل عن العمل الحسن أو الصالح قال أصوبه وأخلصه.. قالوا وكيف ذلك فسِّر لنا ذلك ؟ قال: إن العمل لا يكون خالصا حتى يكون صوابا، ولا يكون صوابا حتى يكون خالصا ، يعني أي عمل لا بد فيه من شرطين : الأول: الإخلاص لله ، أن يكون العمل لله ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الإخلاص محبة الله وإرادة وجهه .**

وقال ابن القيم:

وحقيقة الإخلاص توحيد الـــمر اد فلا يزاحمه مراد ثان

توحيد المراد: وهو الرب جل وعلا، والشرط الثاني: أن يكون صوابا، كيف يكون العمل صوابا؟ بأن يكون على السنة، على هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .. تنظر ماذا فعل وكيف تعبد وماذا صنع النبي الكريم عليه الصلاة والسلام فتمشي خلفه صلى الله عليه وسلم .

الدليل الثاني :

قال الله تعالى : « وعن أبي هريرة مرفوعا: «قال تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك »

{أغنى} **اسم تفضيل ؛ {أغنى الشركاء} هذا يقتضي براءته سبحانه وتعالى من أي عمل فيه شرك، يعني الرب جل وعلا يتبرأ من أي عمل فيه شرك لكمال غناه سبحانه وتعالى ، فهو الغني الحميد** (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد) **سبحانه وتعالى ، فلكمال غناه لا يقبل الشركة ، ولا يقبل الشركاء قلوا أو كثروا .**

قوله : «من عمل عملا» **هذا أيضا نكرة في سياق الشرط** «من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» **حتى لو كان أشرك فيه ملكا ؛ حتى لو كان أشرك نبيا من الأنبياء ؛ وفي رواية لابن ماجة** «فأنا منه بريء وهو للذي أشرك» (١) **وفي مسند أحمد بإسناد حسن بشواهده** «أنا خير قسيم لمن أشرك بي»(٢) **فلو أن أحدا ذبح لله وللبدوي فهي للبدوي وليس لله جل وعلا منها شيء ، لأن الله جل وعلا لا يقبل الشركة ، فهو جل وعلا خير الشركاء وهو أغنى الشركاء ؛ رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق(٣)، وكأن مسلما يشير بروايته له في كتاب الزهد إلى أن الإنسان ينبغي أن يزهد في هذا العرض الفاني وألا يرائي به وألا يشرك به مع الله جل وعلا أحدا . فينبغي للعبد لكي يحقق التوحيد أن يفرد الرب جل وعلا بالعبادة وألا يشرك به أحدا قليلا أم كثيرا كبيرا أم صغيرا .**

الدليل الثالث :

وَعَنْ أَبِي سَعِيْدٍ مَرْفُوْعًا (أَلاَ أُخْبِرُكُمْ مَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيْحِ الدَّجَّالِ؟) قَالُوا: بَلَى. قَالَ: (الشِّرْكُ الخَفِيُّ؛ يَقُوْمُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهَ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ). رَوَاهُ أَحْمَدُ.

قوله: « وعن أبي سعيد مرفوعا: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» **سؤال عجيب ، يعني النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عليهم هذا الأمر ؛ {ألا أخبركم} {ألا} للعرض ، والمراد بها تنبيه المخاطب ، والكلام موجّه للصحابة رضي الله عنهم ، لخير الناس ؛ إذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يخاف على خير الناس، خير من مشى على الأرض**

---

١) رواه ابن ماجه في سننه برقم (٤٢٠٢) .

٢) رواه أحمد في المسند برقم (١٧١٤٠) .

٣) رواه مسلم برقم (٧٦٦٦) .

بعد الأنبياء يخاف عليهم هذا الأمر، فكيف بمن أتى بعد هؤلاء؟ إذا كان يخاف على أبي بكر وعمر وعلى العشرة المبشرين بالجنة من هذا الشرك الخفي فكيف بمن بعدهم؟ إذا من بعدهم ينبغي أن يخاف عليهم أشد من الخوف على أولئك ، لأن من بعدهم بلا شك أقل إيمانا وأقل علما وأقل عملا ؛ فهذا رد على الذين يقولون إن الناس ليسوا في حاجة إلى تعلم التوحيد وتعلم تفاصيل الشرك ، والناس تتعلم التوحيد في خمس دقائق وينتهي الأمر، فهؤلاء في غفلة عظيمة جدا ؛ إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف على خير الناس من هذا الشرك الخفي وهذا مثال واحد لما يخافه عليهم فكيف بمن دونهم .

قوله : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي » **وهذا يدل على عظم شفقته صلى الله عليه وسلم ؛ وعظم حرصه على نصح أصحابه وعلى جلب ما ينفعهم .**

قوله : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم » **يعني أشد خوفا** «عليكم من المسيح الدجال؟» **لأن المسيح الدجال من الممكن أن يعرف ببعض الأمارات والعلامات، فهو مكتوب بين عينيه : { ك ف ر} لكن الذي يأتي بالرياء وبالشرك الخفي أو يرائي في عبادته ؛ في صلاته ؛ في ذكره ؛ في قراءته للقرآن ؛ في دعوته كيف يعرف؟ هل هناك من طريقة يعرف بها المرائي ، قد يعرف ببعض الأشياء ، لكن في غالب أحايينه يصعب معرفته ، لذلك خافه النبي صلى الله عليه وسلم على أمته أعظم وأشد من خوفه عليهم من المسيح الدجال الذي جاء في الأحاديث أنه مكتوب بين عينيه : { ك ف ر} وأن عينه اليمنى طافية، إلى غير ذلك من العلامات الواردة في السنة** « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» **وسمي مسيحا قيل لأنه ممسوح العين اليمنى، فعينه طافية وقيل لأنه يقطع الأرض بسرعة.**

والدجال هو الكذاب ؛ وما من نبي إلا وحذر أمته من الدجال ؛ قال الصحابة : بلى؛ وهذا فيه حرص الصحابة على تعلم الخير وتعلم التوحيد وفيه حرص الصحابة على النجاة بأعمالهم وتصحيحها .

وقد تقول الآن لأحد الناس اتق الله ؛ يقول لك هل تراني على معصية ؟ هل تراني أشرب الخمر أو أزني ؟

فيستكبر عمن ينصحه أو يقول له اتق الله أو يعظه ، فالصحابة رضي الله عنهم كانوا أحرص الناس على الخير.

فقال صلى الله عليه وسلم : «الشرك الخفي» سمي خفيا لصعوبة معرفته ولعسر الوقوف عليه .

قوله : «يقوم الرجل فيصلي» **فإذا قامت المرأة تصلي وتزين صلاتها تدخل في هذا أم لا تدخل ؟**

الجواب : تدخل ؛ هذا يسمى مفهوم لقب ، يعني هذا اللفظ لا مفهوم له وإنما ذكر من باب الأشرف أو الأغلب ، يقوم الرجل أو المرأة يصلي فيزين صلاته ؛ يعني يحسن صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه أو رجل إليه ، فيحسن صلاته من أجل الناس، فهذا هو الرياء .

جاء عند ابن خزيمة من حديث محمود بن لبيد: إياكم وشرك السرائر.([1]) لأنه يكون في السر في الباطن .

وجاء في مسند الإمام أحمد ([2]) في المجلد الخامس: يقول الله تعالى للمرائين يوم القيامة: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم من جزاء؟

ولا شك أنه لن يجد جزاء عند أحد ، لأن الملك كله لله سبحانه وتعالى (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) .

وليس من الرياء أن الإنسان يجمل ثوبه ، فإن الله سبحانه وتعالى جميل يحب الجمال، وإن الإنسان يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا، فهذا ليس من الرياء وليس فيه إشكال.. ليس من الرياء أن الإنسان إذا عمل العمل وستره على الناس وأخفاه ثم بعد ذلك اطلع أحد الناس عليه فشكره أو أثنى عليه هذا لا يعد من الرياء، بل جاء الحديث أن هذا عاجل بشرى المؤمن ([3])، يعني هو عمل العمل وأخفاه عن الناس ثم عُلم بعد ذلك فأثنى عليه الناس فهذا لا يدخل في الرياء.. ليس من الرياء أن الإنسان مثلا جالس في المسجد فوجد الناس يقرؤون القرآن فقام وأخذ مصحفا يقرأ القرآن مثلهم ،

---

[1] رواه ابن خزيمة برقم (٩٣٧) .

[2] رواه أحمد في مسنده برقم (٢٣٦٣٠) .

[3] رواه مسلم في صحيحه برقم (٦٨٩١) .

هذا ليس من الرياء أو كان جالسا في المسجد فوجد واحدا قام يصلي قام يصلي ركعتين ويطيل فيهما فقال والله لأقومن ولأصلين ركعتين فلا يدخل هذا في الرياء .

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الكهف.

وسبق بيانها .

الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله.

كما جاء في الحديث { أنا أغنى الشركاء عن الشرك } .

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك ، وهو كمال الغنى.

الرابعة: أن من الأسباب: أنه تعالى خير الشركاء.

الخامسة: خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء.

لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث : { ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ ... } .

السادسة: أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه.